المقاومة الثقافية في الجزائر
(1830 -1870م)

أ. محمد بن شوش
جامعة الجزائر

ملخص

لقد رفض المجتمع الجزائري عموما الوجود الاستعماري و قاومه بمختلف الوسائل وكانت مقاومته الثقافية بزعامة بعض الشخصيات المتخرجة من المؤسسات الجزائرية كالمساجد الزوايا و المدارس و منهم : ابن العنابي الأمير عبد القادر الكبابطي وغيرهم، وقد ركزت المقاومة على عدة عناصر أهمها الدفاع على المؤسسات الثقافية وضرورة استرجاع كل الممتلكات التي سيطر عليها الاستعمار و الوقوف في وجه سياسة الإدماج والتنصير ومحاولة العمل بمختلف الوسائل لاستمرار التعليم الجزائري ومؤسساته .

وكانت النتيجة هي استمرار تمسك الشعب الجزائري بهويته ورفضه للاستعمار وكل ممارساته، واعترف أحد قادة الاحتلال وصرح بان الشعب الجزائري استمر مقاوما للوجود الاستعماري وكانت رابطة الدين الإسلامي هي الجامعة والموحدة بفضل استمرار نشاط الزعماء والمؤسسات الثقافية المختلفة في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870 م.

إن المجتمع الجزائري عامة قد رفض الوجود الاستعماري وقاوم سياسته وأفكاره الجديدة بكل إمكانياته، وخاصة بزعامة الفئة المتنورة المتخرجة من المؤسسات الدينية والتعليمية، كالزوايا والمساجد والكتاتيب، ولقد بدأت المعارضة منذ البداية خاصة بعد قرار 7 ديسمبر 1830م، بزعامة الحاج محي الدين آغا العرب الذي طلب من الفرنسيين ضرورة إرجاع أوقاف مكة والمدينة وإعادة المساجد المختلفة إلى أهلها[1]، بالإضافة إلى ذلك رفض العلماء ورجال الدين والقضاة السياسة الاستعمارية وتذمروا مما حل بالأوقاف وقدموا العرائض إلى السلطة الفرنسية.

ومن الشخصيات الدينية الهامة التي وقفت أمام الممارسات الاستعمارية، المفتي محمد بن العنابي الذي كان على رأس الإفتاء، فكاتب الجنرال كلوزيل عدة مرات[2]، وانتقد أعماله التي خالفت شروط معاهدة جويلية، لهذا اعتبره كلوزيل عنصرًا خطيرًا على السلطة وأنه يحرض السكان على الثورة، فألقى عليه القبض وسجنه ثم نفاه[3].

أما حمدان خوجة[4]، فقد كان أيضًا من المعارضين للممارسات الاستعمارية، فكتب العديد من الرسائل والشكاوي، وذهب بعد ذلك إلى باريس في أوائل ماي 1833م، واتصل ببعض الجزائريين الذين نفاهم الدوق دي روفيقو، ومنهم

بوضربة وأولاد بن تركية وإبراهيم بن مصطفى باشا، وقدم مع هذا الأخير مذكرة إلى الماريشال سولت وزير الحربية الفرنسية يوم 3 جوان 1833م، ضمنها الأخطاء التي ارتكبها العسكريون في الجزائر، وتشمل ثمانية عشر نقطة، وأغلب مواضيعها تدور حول عدم احترام الاستعمار للأماكن الدينية والمؤسسات التعليمية، وقام حتى بنبش القبور، ولم يحترم حتى عظام الأموات[5]. إن السلطة الفرنسية لم تبال بهذه الاحتجاجات، بل ساندت مرتكبي الأخطاء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[6].

إن مفتي المالكية مصطفى الكبابطي، كان من بين الذين عارضوا قرار بيجو بضم الأوقاف إلى أملاك الدولة، الصادر في 23 مارس 1843م، فنفي بسببه بدعوى التمرد والعصيان، وقام بعد ذلك بيجو بوضع الأملاك التابعة للجامع الكبير وكل الموظفين التابعين له تحت سلطة (الدومين)، وسيطر على معظم مداخيل الأوقاف.

لقد تأزم الوضع بين السلطة الفرنسية والكبابطي، وأنه اتهم ونفي بسبب معارضته لقرار بيجو، وكذلك بسبب قضية التعليم ورفضه للأساليب الفرنسية، إذ بعد ضغط السلطة طلب مهلة لعرض الموضوع على المعلمين والآباء والتلاميذ، وأراد الفرنسيون الضغط عليه وتخويفه فزجوا بابن أخيه أحمد بن عاشور في السجن، لأنه كان يدير مدرسة الجامع الكبير،

بالإضافة إلى ذلك، أهان المفتي معلما فرنسيًا جاء لزيارته واستمر في إصراره، فاستدعى المعلمين وأبلغهم نوايا الاستعمار وهو تعليم اللغة الفرنسية مدة ساعة في مدارسهم القرآنية، لكن المعلمين رفضوا وكان مصير المفتي مصطفى الكبابطي كما أشرنا سابقا[7].

لقد استمر التعليم العربي قائمًا بعد أن فككت هياكله وأحيل إلى الدرجة الدنيا، وأحيط برقابة شديدة وحدد في الوقت والمحتوى، وظل ملكًا للمبادرة الخاصة بفضل تمسك الشعب الجزائري بالقرآن الكريم واللغة العربية والعادات والتقاليد، فحافظ على استمرار وجوده رغم ما فقده في الحقبة التاريخية المظلمة، فإنه بقي محافظًا على وعيه التاريخي الذي استمر يمده بالقوة الروحية لمجابهة أنواع التشويه التي كانت السلطة الاستعمارية تحاول فرضها ميدانيًا.

إن معظم الشعب الجزائري استمر ينظر إلى التعليم الفرنسي بأنه أخطر عدو لمقومات شخصيته، فرفضه بمختلف الطرق[8]، ويستثنى من ذلك فئة قبلت به تحت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، واستمرت متمسكة بشخصيتها، وبالإضافة إلى ذلك قد لعبت بعض الطرق الصوفية والمساجد والكتاتيب دورًا هامًا في بقاء التعليم الذي سمح لبعض الجزائريين بمختلف أعمارهم على تحصيل قسط من العلم

والمعرفة[9]. أما حفظة القرآن فقد قدموا خدمة جليلة للمجتمع الجزائري، حتى وإن كانت معارفهم محدودة لأنهم استطاعوا حماية أحد مقومات الشعب من حملات المسخ والتغريب والفرنسة. وكانت هناك فئة أخرى استطاعت أن تواصل تعليمها خارج الوطن، خاصة في فاس، وتونس، والقاهرة، وسوريا، وغيرها، وكان نشاطها جدٌّ محدود، ورغم ذلك كانت من عوامل الحفاظ على مقومات المجتمع.

جهود بعض الجزائريين في المقاومة الثقافية

1 – نشاط الأمير عبد القادر[10]:

إن عظماء الرجال لا تنحصر شخصية الواحد منهم في جانب معين من البطولة، كالسياسة أو الحرب أو ما إلى ذلك من مجالات الحياة، ولكنها قد تستحوذ على أكثر من جانب وكلما تعددت جوانب تلك الشخصية إلا وتفوقت بصاحبها على غيره من العظماء، والأمير عبد القادر لم تكن شخصيته متميزة سياسيًا أو عسكريًا أو اجتماعيًا أو دينيًا أو علميًا أو أدبيًا، ولكنها جمعت هذه الصفات كلها، وسنشير بعجالة إلى الجانب التعليمي والثقافي للأمير.

كان الأمير عبد القادر يحب العلم والعلماء ويتواضع لهم[11]، ويعرف عنه أنه قام بتنظيم المعلمين في العديد من المدن لتدريس فنون العلم المختلفة، ولقد حدد لهم مرتبات تتناسب

ودرجاتهم العلمية، وحث الناس على طلب العلم واحترام أهله، وكان إذا حضر لديه معلم امتحنه في مادته، فإذا وجده محصلاً وناجحًا فيها أكرمه ووظفه وإلاّ أعرض عنه[12].

كان بالإضافة إلى حبه إلى العلماء يساعدهم ويكرمهم، أما طلبة العلم فقد أعفاهم من الانخراط في سلك الجندية ومن كل مطالب الدولة وواجباتها ليتفرغوا للتكوين وطلب مزيد من العلم، وقام أيضًا بإحضار المدرسين من الخارج، وكان يشترط فيهم الخبرة ودقة وسعة المعارف العلمية، وكثيرًا ما كان يباشر بنفسه إلقاء الدروس في مختلف أنواع العلوم، من أدب وشريعة وتصوف وفلسفة[13]. وكان يتميز بسعة الاطلاع وتنوع التحصيل العلمي الذي استقاه من دراسة القرآن والسنة ومختلف مصادرها، ومؤلفات محي الدين بن عربي، والرازي، والشريف الجرجاني، وابن خلدون، وابن سينا، والسرهودي، والبيضاوي، والطبري، وخليل[14]. وهكذا فقد انتشر التعليم في جميع المقاطعات وأقبل الناس على تعليم أبنائهم فكثرت بذلك الفائدة.

لقد اجتهد الأمير أيضًا في حفظ الكتب وأمر جنوده بأن يأتوه بكل كتاب يعثرون عليه، وتشدد في حيازة الكتب التي كانت بين أيدي الطلبة أيام حكمه[15]. ويتم كل ذلك إما بالشراء أو النقل، ومنح جوائز ومكافآت لكل من أحضر له

كتاب مهما كان نوعه[16]. كما كان يهتم كثيرا بتكوين الطلبة فقال:" كنت أشعر شعورا قويا بأهمية العلم، بدرجة أنني مرات عديدة عفوت عن بعض الطلبة الذين استحقوا الموت، لأن إعداد عالم حقيقي في بلادنا يتطلب وقتا طويلا، ولأن النخلة تسهل عملية قطعها وتقويضها بأخرى، ويستغرق وقتا طويلا للحصول على ثمرة النخلة الجديدة، وقد بذلت مجهودات ضخمة لتسهيل الدراسة على الطلبة وتمكينهم منها ولتكوين الإطارات"[17].

واهتم الأمير أيضا بجمع حوالي خمسة آلاف مخطوطة مجلدة تجليدا فاخرا وعزم على تأسيس مكتبة عامة في تاقدامت ثم اضطرته الظروف الحربية على جعل هذه المكتبة متنقلة بتنقل الزمالة إلى أن قضى عليها الاستعمار وأتلفها في 10 ماي 1843م، فتبعثرت تلك الكتب واستولى عليها الفرنسيون ونقلوها إلى باريس وتوقف نشاط الأمير عبد القادر الجزائري التعليمي، ولم يظهر ويتجدد إلا بعد استقراره في مدينة دمشق بسوريا (1856م – 1883م)[18].

2 – محمد اطفيش (1818 – 1914م) :

ولد سنة 1818م في بني يزقن، أصبح بعد ذلك إمامًا للمسجد وزعيم المزابيين، جعل من منزله مركزًا لدراسة تلاميذ مدن المزاب وخدمة مناطق العالم الإسلامي، وركز في طريقة

تعليمه على القرآن الكريم ودراسة الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وكون جيلاً من مؤسسي الحركة الإصلاحية في القرن العشرين[19].

3 – صالح بن مهنا :

صالح بن محمد بن محمد بن مهنا[20]، قرأ القرآن الكريم والمبادئ المعروفة في عصره من فقه ونحو وصرف وبلاغة في الجزائر، ثم انتقل إلى تونس والأزهر لتوسيع معارفه.

لقد درس بن مهنا على العديد من الشيوخ، منهم الشيخ عبد الله الدراجي الذي كان معجبًا به إلى أقصى حد، وألف عن حياته كتابًا سماه إسعاد الراجي في بعض مآثر الشيخ عبد الله الدراجي[21]، بالإضافة إلى ذلك فقد درس على مشايخ في تونس ومصر، منهم الشيخ الجربي[22]، الشيخ قبادوا[23] التونسي، الشيخ صالح النيفر[24]، الشيخ محمد نيفر[25]، الشيخ المازني[26]، الشيخ ابراهيم الباجوري[27]، الشيخ محمد بن أحمد عليش[28]، إلى غير ذلك من المشايخ الذين درس عليهم واغترف من مناهلهم المتعددة.

إن ابن المهنا تولى إمامة المسجد الكبير بقسنطينة بطلب وسعي الشيخ محمود بن محمد الشاذلي، وشرع في إلقاء الدروس بالمسجد وبالزاوية الحنصالية تطوعًا في جميع المواد الدراسية لتلك الفترة، وكان الناس يأتون للتعلم باستمرار.

وقد أدى الشيخ صالح رسالته التعليمية والتوجيهية لمدة ثلاثين سنة تقريبا، وقد تخرج عليه عدة تلاميذ محصلين يذكرون فضله ويعتزون بعلمه الغزير ومقدرته الفائقة وإخلاصه المتناهي في سبيل نشر العلم والعرفان.

إن صالح بن مهنا عزم على نشر العلم، فاشترى بيتًا بالقرب من الزاوية الحنصالية ورابط فيها، وتفرغ لعبادة الله والتدريس والتأليف وإرشاد الأمة في دروسه العمومية وخطبة الجمعة، وكان دومًا حسب رأيه يبتعد عن الاختلاط بأولئك الموظفين الذين كانوا يتملقون العدو الحاكم بالتمسح على أعتاب أبوابه، والاستماع إلى توجيهاته وتنفيذ أغراضه، ولو خالفت مبادئ الدين وحرمة الوطن والكرامة والمروءة والشرف[29].

فالذين عاصروا الشيخ بن مهنا يقولون أن وقته كان يقضيه إما في التدريس أو مطالعة الكتب والتعليق عليها[30]، والمدة الطويلة التي قضاها في التعليم أكسبته خبرة ورأي لاذع لطريقة التعليم المتبعة في تلك الفترة، لذا كثر أعداؤه وخصومه.

إن رجال التعليم يقولون عنه في تونس شيخ، وفي مصر خليفة، وفي بعض زوايا الجزائر مقدما، وحسب رأي بن مهنا كثرة هذه الأسماء تدل على الضيعة والحطة لاسم يجمع بين أربع صفات، وهي الجهل والبدعة والطمع والفسق، لهذا يضيف

قائلا بأن المشيخة في هذا الزمان صارت لعبة في يد الأحداث والصبيان ومن لم يصل إلى درجة النسوان كرابعة العدوية.

ويشترط في المعلم حسب رأيه ضرورة التقيد بسلوك وطريق قويم، ويجب أن يكون صادقا متبحرًا في علوم الشريعة، بحيث يقرأ مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها ويعرف أدلتها ومنازع أقوالها ويقف على أم الكتاب التي يتفرع منها كل قول[31].

إن سعة اطلاع بن مهنا، جعلته يدرس اعتمادا على بعض الكتب التي ألفها مثل كتاب شرح نظم الأسماء الحسنى، شرح ابن عاشر، كتاب السر المصون، أقرب الوسائل في الصلاة على النبي، تنبيه المغترين، مولد النبي (ﷺ)، شرح الأربعين النووية، الترغيب والترهيب وغيرها[32].

لقد ثار بن مهنا على العديد من مظاهر تلك الفترة، وظهرت جلية في كتاباته ودروسه فأثارت عليه أعداء من مختلف الطبقات، وخاصة السلطة الاستعمارية، لذلك عزل من إمامة المسجد الكبير بقسنطينة، وألقي عليه القبض واستولت فرنسا على مكتبته الثمينة ونقلتها إلى دار العمالة.

إن الاستعمار الفرنسي قام باستدعاء المستشرق البان روزي سنة 1897م لدراسة آراء بن مهنا، واستخلص هذا في النهاية هدف السلطة وطلب ضرورة إرجاع مكتبة الشيخ، وفعلا ما كان، ونظرا لقيمة الشيخ حاول طلبته وأنصاره عرقلة

السلطة الاستعمارية، ومنعها من أخذ الشيخ ومكتبته لكن في النهاية ألقى الشيخ كلمة على تلاميذته وأنصاره، وطلب منهم الهدوء والصبر لأن فرنسا كانت مدججة بالسلاح ومستعدة للشر والانتقام[33].

4 – ابن زكري :

من بين الذين تخرجوا من التعليم العربي ابن زكري[34]، الذي درس بزاوية الأيلولي وزوايا أخرى، وبعد أن حفظ القرآن ومبادئ اللغة العربية انتقل إلى الجزائر العاصمة، وألف كتاب أوضح الدلائل بوجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، وهو عبارة عن ملاحظات تحصي عيوب التدريس في تلك النواحي، مشيرًا أحيانًا إلى مفاسدها وأحيانا أخرى مبينًا التحسينات الضرورية التي يحسن إدخالها على ذلك التعليم ليصبح موافقًا لحاجيات الزمان، ومطابقا لأساليب التعليم العصري وقد اعتمد في كتابه هذا على تجاربه الشخصية[35].

يشير ابن زكري في بداية كتابه إلى السلبيات التي ميزت التعليم بالزوايا وتدني المستوى العلمي والأخلاقي، ويستشهد بما وقع من فتن ومشاكل في بعض الزوايا[36] والأساليب التلقينية العقيمة[37]، لذا أشار إلى ما يجب إصلاحه والقيام به وذلك بالرجوع إلى تدريس مختلف العلوم وتنظيم المؤسسات التعليمية ماليًا، بحيث تحصى المصاريف اليومية

والشهرية والسنوية في سجلات خاصة.

يقترح ابن زكري تعديل البرامج وإدخال بعض المواد، كالتاريخ والجغرافيا والسير والرحلات والتفسير والحديث والفقه والمنطق وأصول الفقه وقواعد اللغة العربية[38].

بالإضافة إلى ضرورة تقسيم أوقات التدريس، وطرق انتقاء المدرسين، والأجور المقدمة لهم ومراقبتهم، وحساب غياباتهم، والسهر على استمرار التعليم بالزوايا ودعمها بشراء الكتب، وحث الطلبة على المطالعة[39]. إن انتساب التلاميذ لأي زاوية يجب أن يتم بعد التأكد من السيرة الطيبة ودفع بعض المصاريف، ويجب أن يخضع كل متعلم إلى مكافأة أو تأديب[40]، ويذهب ابن زكري إلى أكثر من ذلك فيطلب من السلطة الحاكمة المحافظة على التعليم في الزوايا والإبقاء عليه، لما فيه من فوائد تعود بالصالح العام على الأمة[41].

يلاحظ بأن ابن زكري طالب بضرورة إصلاح التعليم بالزوايا وكأنها منفصلة عن التعليم الجزائري، في هذه الفترة التي تميزت بالاعتماد أساسًا على التسليم والمتابعة، فكان مثلاً الشيخ أو المعلم يتصف ويسمى بالحافظ لأنه يحفظ وينقل ويعتمد أساسًا على مجموعة من الكتب والآراء، كتبت في معظمها في عصور سابقة، وقد تناول ابن زكري إصلاح الزوايا بطريقة منفصلة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والطرق

الجهنمية للاستعمار، التي كان لها الأثر الكبير في تحديد نوع التعليم، ورغم أنه تخرج من أهم الزوايا و هي زاوية الايلولي بجرجرة التي عرفت بنشاطها التعليمي والسياسي والعسكري، فإنه لا يشير إلاّ بالنزر القليل لبعض إيجابيات الزوايا[42]، وكان من المفروض أن يؤكد على ضرورة الإبقاء على الإيجابيات والمطالبة بالإصلاح والتجديد في بعض الميادين.

يعيب الكثير على ابن زكري طريقته التهجمية[43] على بعض الزوايا، وأنه أحيانًا ظهر أكثر رسمية من النظام القائم، وإن تراث بعض الزوايا يؤكد مكانتها وكونها رباطا علميّا وجهادا وتصوفا وملجأ للمظلومين والتائبين، ضحايا الجور في كل العهود.

إن الحياة في الزوايا التعليمية كانت بها معاني سامية متنوعة، كان من المفروض الإشادة بها، مثل العلاقة بين المعلم والمتعلم والمدة الزمنية الطويلة التي يبقى فيها طالب العلم في الزاوية ملازمًا لشيخه، ولا يشغله عن ذلك أمر ولا سعي ولا معاش، فالزاوية له مدرسة ومسكن ومطعم ومأوى، وكان الشعب يتكفل بضروريات الحياة في الزاوية التي يتميز أفرادها بعلاقة الاحترام و التقدير. وان الزاوية كانت تعد المقاومين المتشبعين بمقومات شخصيتهم، لذلك أدرك الاستعمار الفرنسي هذا مبكرًا وعمل على إضعافها أو توجيه نشاطها[44].

5 – الشيخ عبد القادر المجاوي :

من علماء الجزائر ولد بتلمسان سنة 1848م، درس بجامع الكتاني والمدرسة الكتانية بقسنطينة، ومسجد سيدي الأخضر، فأحدث تأثيرًا كبيرًا بدروسه ومحاضراته العامة.

إن الدروس الرسمية قد تنوعت بين المنطق والبيان والمعاني واللغة والنحو والفلك، وفي سنة 1898م انتقل المجاوي إلى العاصمة للتدريس بالمدرسة الثعالبية، وقد تخرج عليه في التدريس كثيرون مثل حمدان الونيسي، وأحمد الحيبياني والمولود بن الموهوب[45].

لقد وصفه الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب بصاحب المعارف الواسعة في اللغة العربية، الفقه ومعارف أخرى كعلم الكلام وعلم الاقتصاد السياسي والعلم التربوي، وقد أسهم إسهامًا جيدًا من أجل نهضة ثقافية، وكان يهاجم الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة[46].

يعتقد الشيخ المجاوي بأن انحطاط المستوى التربوي عند الناشئة، سببه المعلمون والوعاظ والمدرسون الذين لا يحسنون توظيف أساليب التعليم العصري، ولذلك دعا إلى الاهتمام بذلك[47].

يرى سعد الدين بن شنب أن المجاوي كان غافلاً عن دور الاستعمار، الذي عمل جاهدًا لإضعاف المستوى المعيشي،

وتدهور الأوضاع الاجتماعية التي كانت عليها غالبية الأسر الجزائرية. لهذا، فإن عملية التربية والتعليم والمستوى الذي وصل إليه هي مسؤولية الاستعمار وليست مسؤولية المدرّسين والمجتمع الجزائري[48].

6 – محمد بن أبي شنب

ولد محمد بن أبي شنب[49] بالمدية (عين الذهب)، وتعلم بكتاتيبها وثانويتها، والتحق بعد ذلك بمدرسة المعلمين ببوزريعة سنة 1866م، وبعد سنتين من الدراسة أصبح أستاذًا في اللغة الفرنسية، وكان عمره لا يتجاوز تسعة عشر عامًا.

لقد واصل ابن شنب دراسته في البلاغة والمنطق والتوحيد على الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن سماية، وأصبح يدرس بالجامعة، وفي سنة 1894م ناب عن الشيخ أبي القاسم بن سديرة في تدريس اللغة العربية بالجامعة، وكعادته كان محبًا للاطلاع وتوسيع معارفه، درس اللغة الإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية والعبرانية، وعيّن سنة 1898م أستاذًا بالمدرسة الكتانية خلفا للأستاذ عبد القادر المجاوي، ثم انتقل بعد ذلك للتدريس بالمدرسة الثعالبية بالجزائر، ودرس صحيح الإمام البخاري بجامع السفير بالعاصمة سنة 1908م، وتحصل على الدكتوراه في الآداب بجامعة الجزائر بدرجة ممتازة، وأصبح أستاذًا مبرزًا بكلية الآداب بالعاصمة بعد أن قضى 23

سنة جهدًا في سبيل العلم بالمدرسة الثعالبية[50].

عندما بدأ الأستاذ مهنة التعليم بحث كثيرًا في موادها وأصولها وما قيل وألف فيها، وكان من جملة ما قام به من الأعمال في هذا المجال أنه ترجم إلى الفرنسية الفرنسية رسالة للإمام الغزالي[51] في رياضة الأولاد وتربيتهم ونشرت بالمجلة الإفريقية، وترجم ملاحظات في التعليم الإسلامي لمؤلف مجهول، ونشرت كذلك بالمجلة الإفريقية سنة 1897م.

أما رسالته لتعليم الأطفال لأبي حامد الغزالي فقد جاءت مقسمة إلى أَحَدَ عشر مقطعا، وكل مقطع يشير إلى جانب معين من التعليم وأهدافه وكيفياته، وتكاد تكون المقاطع متشابهة ومتداخلة، ولخصتها كما يلي :

إن دراسة الغزالي تبين شدة اهتمامه بالتعليم وقوة عقيدته، في أن التعليم الصحيح هو السبيل الوحيد إلى القرب من الله وتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، ويستشهد في ذلك بما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الحكماء[52]، وينتقل بعد ذلك ابن شنب إلى قوله بأن الغزالي قد دعا إلى تساوي الذكور والإناث في التعليم[53].

نجد ابن شنب قد أكد على تعليم المرأة ليرد على المفكرين الأوروبيين الذين، استمروا يحصرون أهداف التربية والتعليم بالنسبة للمرأة في واجبات المنزل ومتطلباته الداخلية،

وكان ذلك بمثابة التنبيه للاستعمار الذي كان عديم الاهتمام بتعليم بنات الجزائر لاعتبارات عنصرية[54].

يواصل الغزالي نصحه بأن يبعد التلميذ عن مخالطة قرناء السوء كوسيلة لتهذيبه، كما نصح بعدم تعويده على التدليل والتنعم، أو الاستمتاع والترفيه، لأن ذلك حسب رأيه يشعر التلميذ باللذة، وفي الحقيقة يوجهه نحو البؤس والفقر[55].

ومن الوسائل التي تبعد التلميذ عن العبث والمجون هي شغل أوقات فراغه بقراءة القرآن والأحاديث، وأخبار الأبرار وأحوالهم، وممارسة الرياضة والقيام ببعض الألعاب، ويجب إبعاده كل البعد عن الأشعار المتعلقة بالحب والأدب المثير، وحتى سورة سيدنا يوسف في القرآن الكريم، وهذا كله للمحافظة عليه من الفساد[56].

إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه طاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية، فيأمرنا الدين بتعليم الأبناء من المهد إلى اللحد، وأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، لذا فالأب مطالب بتعليم ابنه وتربيته وتكوينه روحيًا وماديًا[57].

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان طريقة تهذيب الصبي، عن طريق تعليمه الدين، وممارسة العبادات، فيقول : "ينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في أيام رمضان، ويعلم كل ما يحتاج إليه من علوم الشرع، ويخوف من

السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش، كما يعلم أن الدنيا كلها لا أصل لها ولا بقاء ، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن الموت منتظر في كل ساعة، وأن الكيّس العاقل من تزوّد في الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى، وتتسع نعمه في الجنان[58].

ليس ذلك فقط، بل يجب تعليم الصبي النظافة وطريقة أكل الغذاء المفيد، ليحسن التفكير والعمل، ويجب حث الصبي على لبس الثياب البيضاء حتى يشب على حب الصفاء والنجاح[59].

ويعاود الغزالي في مناسبات كثيرة تأكيده على عدم تعليم الصبي التدليل، والتنعم، والتراخي، والكسل، والتساهل في التعامل مع الناس، لأن ذلك كفيل لإفساد خلقه، ويقول أيضًا : "تمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاء الصبي، ولا يسمن بدنه، ويجب أن يتعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، وفي النهاية يطالب بضرورة مراجعة النفس وإيجاد الدواء المناسب لكل داء، وضرورة معرفة مختلف العلوم، خاصة الفلسفة ويجب أن يتميز المتعلم بقوة شخصيته باستمرار"[60].

إن ابن الشنب نشر هذه الرسالة ليبين أن العديد من المستشرقين والمفكرين الغربيين قد اهتموا بأعمال الغزالي[61]، وهو أولى منهم بالاهتمام به، ونشره إحدى أهم أعماله التربوية

الواقعية عن ذلك المجتمع الذي عاش فيه، والذي كرس حياته العلمية والعملية من أجل إصلاحه والنهوض به، ولأن طريقة التعلم عند الغزالي حسب ما جاء في الرسالة و كتبه الأخرى، ومنها إحياء علوم الدين تظهر وتحدد الشروط النفسية والعقلية والروحية والاجتماعية للمتعلمين والمعلمين، وأن أسلوب الغزالي التربوي قد سبق بكثير ما جاءت به الآراء التربوية الحديثة، مثل آراء جان جاك روسو (1712م – 1778م) (J.J.Rausseau) وإدوارد كلابريد (1873م – 1940م) (E. Clapréde)، وكأن ابن الشنب أراد أن يظهر للفرنسيين بأن نظرية الغزالي التي سبقت مختلف النظريات بأكثر من ثمانية قرون، تؤكد مدى عمق وخصوبة الفكر الإسلامي عامة.

ومن جهة أخرى، قام ابن الشنب بالتطرق إلى هذه الرسالة بعدما طبعت ونشرت في تونس سنة 1314هـ/1897م، وكان ذلك يصادف ميلاد الجمعية الخلدونية التي ظهرت يوم السبت 14 ذو الحجة 1314هـ/15 ماي 1897م على الساعة العاشرة صباحا، وقام الشيخ سليم بوحاجب بإلقاء كلمة الافتتاح التي استهلها بدعوة الإسلام إلى العلم والمعرفة، واستشهد بتجربة أبي حامد الغزالي وببعض ما جاء في الرسالة المذكورة[62].

وكان بذلك حسب العديد قد قدم دفعا هاما للمدرسة الخلدونية في مرحلة التردد، واستطاع أن يحطم الجدار الذي كان يدعي بأن الإسلام لا يشجع العلوم الحديثة، ويعارضها

لكن بعد الاستشهاد بالغزالي تبين بأن الاهتمام بمختلف العلوم هو من آثار الحضارة الإسلامية، ورغم ذلك قد ظهر تيار معاد للخلدونية، ويرى فيها المنافس والعدو للجامعة الزيتونية[63]، واستمر ذلك طويلا رغم أن أحد قوانينها يشير بأن الخلدونية بها أهم الجذور والعناصر التي تمثل مصالح الإسلام والحضارة عامة[64].

قام ابن شنب أيضًا بنشر ملاحظات في التعليم الإسلامي لمؤلف مجهول في المجلة الإفريقية[65]، وتعود حسب رأيه إلى القرن الثامن عشر، وما زال العمل بها[66] في الكثير من المناطق، وكان هذا بمثابة الرد على من ينكر على الجزائريين والمسلمين الكتابة في التربية والتعليم، ويستهل ذلك دعوة الإسلام واهتمامه بالتعليم وإنشاء المدارس.

لأن القرآن يعتبر من أحسن الدعوات إلى المعرفة ويحث على الدرس، ويفرد مكانة مميزة للعلم الذي يتصف بالبحث والسعي الدائم، ولذلك يفضل الله العالم على غيره، لأنه دائما محل سؤال وإنارة الطريق[67]، فجاء في قوله تعالى: **"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"**[68].

بعد المقدمة تبدأ مجموعة من الوصايا، وذلك بأن تعليم الصبيان يكون بضرورة مرافقتهم باللين، والرحمة، والرعاية التامة، وأكل الحلال، وعدم مخالطة أصدقاء السوء، وعدم الإكثار من الكلام، وتعليم لا إله إلا الله محمد رسول الله

(ص)، وتعليم القرآن والأحاديث، وأخبار وحكايات الصالحين، ويكون هذا خاصة عند المبتدئين[69].

إنه من الضروري مدح التلميذ إذا أحسن، وذمه إذا أساء، ويجب عدم الإكثار من الذم، ويجب أن يتساوى في ذلك الذكور والإناث.

إن البنات الصغار يسمح لهن باللعب بالصور أو العرائس، ويجب دومًا العمل لاختيار أحسن المعلمين الذين تتوفر فيهم شروط الدين، العفاف، التقوى، المعرفة. أما سن بداية الدراسة فهي سبع سنوات، والطريقة تكون تدريجية في تعليم الحروف الهجائية ثم الكتابة، حسن الخط، حفظ القرآن، الفرائض، العقائد، آداب الدين[70].

إن الصغار يمكن ضربهم لتأديبهم وذلك على باطن القدمين من ثلاث إلى عشر ضربات، ويحسن أن تكون ضربة واحدة، ويكون التأديب بالزجر والكلام لكي لا يؤثر على ملكة الحفظ والفهم لدى التلميذ، ويجب على المعلم أن يكون مهابًا في غير كلف، وأن لا يكون منبسطًا كثيرًا.

كما يجب على المعلم أن لا يطلب شهادة التلاميذ بعضهم على بعض، أو يوكل بعضهم على بعض، أو يُستخدم بعض التلاميذ في بعض الحاجات[71].

إن أيام الدراسة تكون من صبيحة يوم السبت إلى صبيحة يوم الخميس، وتكون أوقات الراحة اليومية : بعد الفجر

وقبل الظهر وبعد العصر، أما عطلة الأعياد فتكون من ثلاثة أيام إلى خمسة أيام. ويختم ابن الشنب هذه الوصايا بأن الأجرة التي يتقاضاها المعلم عن تعليم التلاميذ هي رزق ساقه الله إليه، فيجب أن يتقي الله في أولاد المسلمين ويرى نفسه بأنه راع عليهم وأنه مسؤول عن رعيته[72].

يظهر من خلال هذه الملاحظات بأن صاحبها (المجهول) واسع المعارف، وأنه أخذ الكثير من المفكرين المسلمين الذين اعتنوا بالتعليم، فنجده مثلا في الدين، الأخلاق، التواضع قد أخذ عن الغزالي[73] وكتابه إحياء علوم الدين، خاصة الجزء الثالث (صفحة : 14، 61، 22)، أما الجزء الرابع فأخذ من صفحات : 157، 288، 289، 301، 62، 356.

أما ما يخص التدرج في تعليم المواد والمنهج والانتقال من السهل إلى الأقل سهولة، والاعتدال في توزيع جلسات العلم وضرورة طلب كل العلوم، فقد أخذ ذلك عن عبد الرحمن بن خلدون[74].

أما ما يتعلق بالعدل بين التلاميذ، وطريقة التأديب، وعطلة الأعياد ومعاملة التلاميذ، واعتمادهم على البعض فكان الاعتماد فيه على محمد بن سحنون المتوفى 256هـ[75].

7 – محمد بن رحال :

ولد محمد بن رحال في 3 شوال 1277هـ/16 ماي 1857م،

وهو من عائلة عريقة[76].

إن العديد من التقارير قد أشارت إلى أنه في سنة 1867م لم يتجاوز عدد الجزائريين بالمدارس الابتدائية 30 تلميذًا بندرومة، وكان ابن رحال من بينهم يتعلم الكتابة والقراءة والحساب باللغة الفرنسية[77]، وكان هذا بعد أن تحصل على معرفة اللغة العربية والقرآن بأحد الكتاتيب، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة ليواصل دراسته الثانوية بالمعهد العربي الفرنسي (1870م – 1871م) وثانوية العاصمة إلى سنة 1874م. وهكذا فإنه تأثر بمدارس 1850م التي كانت تهدف إلى تكوين نخبة مزدوجة الثقافة، فكان كبعض المتخرجين منها مثل ابن بريهمات المترجم والأستاذ بن سديرة[78].

يلاحظ بأنه كان متمسكًا باللغة العربية والدين الإسلامي، لهذا يصرح سنة 1897م بأنه يجب أن لا نسلم بكل ما تأتينا به الحضارة العربية[79]، بل نأخذ ما يناسبنا، وكان من بين الداعين إلى تعليم المرأة وطبق ذلك ميدانيًا بإرسال بناته إلى المدرسة.

إن الظروف الاستعمارية والمقاومة جعلت آراء بن رحال تتغير باستمرار، إذ أصبح عضوًا في الزاوية الدرقاوية ثم مقدّما لإحدى فروع زاوية قدورين المستغانمية، وهي الزاوية السليمانية[80].

مضى بن رحال فترة قصيرة في الإدارة الاستعمارية، واستقال بعد ست سنوات في عام 1884م، وقد استطاع أن يكون صديقًا للعديد من المفر نسين، وحتى مستشارًا لبعضهم، كما كان ذلك بالنسبة لجول فيري حيث كان الناطق والمدافع عن التعليم الجزائري في لجنة الشيوخ سنة 1891م[81].

لقد عاصر ابن رحال الإصلاحات الاستعمارية الخاصة بالتعليم، والتي ظهرت بعد قانون سنة 1883م بزعامة جول فيري (Jull Ferry) وتطبيق مبدأ اللائكية ومجانية التعليم وإجباريته، وظهرت كسياسة تهدف إلى البناء وليس إلى التدمير للجهاز التعليمي العربي الإسلامي حسب رأيهم.

إن هذه السياسة بدأت بعد تدهور وضعية الزوايا التي كانت تكون المجاهدين مثل مقاومة الأمير عبد القادر[82]، وبذلك هاجر الكثير من الجزائريين ولم يبق إلا من كان مستواه ضعيفًا في الميدان العلمي. ولكن رغم ذلك كان رد الجزائريين عنيفا لرفض هذه السياسة الإدماجية الجديدة، لأن الاستعمار يدعي بأن إخضاع الجزائر قد تم بالوسائل العسكرية بعد القضاء على مقاومة 1871م كمرحلة أولى، أما المرحلة الثانية فكانت إجبار الجزائريين وإخضاعهم للإدارة والقضاء الفرنسي، أما المرحلة الثالثة فيجب أن تتم بالمدرسة وتفوق اللغة الفرنسية. لهذا كان العمل حثيثًا على تعميم التعليم القضاء على

كل ما من شأنه الوقوف في وجهه، أو عرقلته، ورغم ذلك فمن بين المشاكل التي سيواجهها الوضع الاقتصادي المتدهور، ورفض العديد من البلديات تمويل هذا المشروع، وقاموا بمختلف الوسائل لعرقلته، وطلبوا من جول فيري ضرورة إلغائه[83] ، كما امتنع الجزائريون عن إرسال بناتهم إلى هذا التعليم الذي يبعدهم عن عقيدتهم. وهكذا تدخل وزير التعليم العمومي باحتشام وطلب من البلديات تطبيقه حسب الظروف والإمكانيات المالية. وقد سجلت فترة 1882م – 1891م تراجعا هاما في التحاق الجزائريين بالمدارس الفرنسية، باستثناء منطقة القبائل، إذ ظهرت المحاولات الأولى بها لتحقيق سياسة فرق تسد، ولم تتجاوز نسبة المتعلمين الجزائريين سنة 1889م نسبة 1,9 % [84].

ظهر محمد بن رحال خلال هذه الظروف، وحاول إيجاد نوع من المقاومة الحوارية، دفاعا عن تعليم الجزائريين منذ 1887م، وسأتطرق إلى ذلك من خلال مجموعة من الوثائق التي قام بجمعها الأستاذ عبد القادر جغلول من عائلة ابن رحال، خاصة مخطوط السيد رحال عبد الرزاق ورحال صارة، وهي مجموعة من الوثائق كتبت بالآلة الراقنة محفوظة بالمكتبة الوطنية منذ سنة 1983م.

فالدراسة الأولى تتعلق بالتعليم العمومي في الدول

العربية[85]، ويستهلها بن رحال بقوله : "أن فرنسا منذ وطأت أقدامها الأراضي الإفريقية وهي تحاول نشر رسالتها الحضارية، وهي الإدماجية، وكان من المفروض الالتزام بتعهداتها إزاء الشعوب مهما كانت المشاكل وبدون إيجاد الذرائع[86].

إن تطبيق هذه السياسة استلزم الاهتمام بالتعليم، لأنه الوسيلة المثلى لبسط كامل النفوذ. إن فرنسا كانت تدعي بأن العرب يتميزون بالتخلف، لهذا كان من المفروض على فرنسا إخراجهم منه وتطبيق سياسة تعليمية ناجحة دون المساس بعاداتهم ودين أجدادهم، لأن الجزائريين أشد تقديسًا لهذه العوامل.

إن المحاولات المتكررة حكم عليها بالفشل، لأنه كان المهم عند فرنسا هو نقل بعض الجزائريين من القرى إلى مدارس المدن دون الاهتمام بهم ماديًا، أو تخصيص معلمين لتكوينهم، وعودتهم بعد ذلك إلى منازلهم، وهم تقريبًا أميون غير متمكنين من اللغة الفرنسية أو اللغة العربية، وذلك يحقق تدهورهم الاقتصادي وارتباطهم بالاستعمار[87].

ويضيف ابن رحال دعوته إلى إيجاد نظام داخلي يتكفل بجميع مصاريف تعليم الجزائريين، واحترام مقومات شخصيتهم، وفتح أمامهم المناصب اللازمة، ويكون ذلك بالوسائل الآتية أهمها : إنشاء المدارس التي يجب أن تكون قريبة من السكان حتى يتمكنوا من مراقبة أبنائهم، ومعرفة ما يقدم

لهم من مواد[88]. ويجب أن يكون التعليم مجانيًا ومقتصرًا على أبسط الضروريات، حتى ولو استدعى الأمر داخل خيمة ببعض الألواح وسبورة، فيكون ذلك مشابهًا لما يوجد من تقاليد.

إن هذه الطريقة تمكن من فتح عدة مدارس في المنطقة الواحدة، تكون تحت إشراف معلم، وتقدم المبادئ الأولى في القراءة والخط والحساب فقط، ويتم بعد ذلك نقل المتفوقين من التلاميذ إلى المدارس العربية الفرنسية بالبلدية، ونقدم لهم الرعاية الكافية وتكوينهم بإشراف مدير فرنسي ومساعدين جزائريين، ويجب على الأقل تفتيش هذه المدارس مرة واحدة في الشهر.

إن مدارس الخيمة يجب أن يكون العاملون بها جزائريين فقط، أما المدارس الفرنسية العربية فيكون المدير فقط فرنسيًا، ويكون الكل متمكن من مهنته، وله خبرة طويلة، فيجد رضا وقبول الشعب، ومن بين الشروط الأساسية معرفة كتابة العربية ونطقها[89].

فطريقة التعليم يجب أن لا تكون ترغيبية وتقديم نقود للتلاميذ، لأن ذلك يسيء لنفسية التلميذ ويجب العمل لكي يلتحقوا بالدراسات العليا ليصبحوا موظفين في الإدارة[90].

يلفت بن رحال انتباه الفرنسيين بقوله : "بأن الجزائريين لهم أنفة وكبرياء عند الحصول على وظيفة للاسترزاق منها،

ويكون ذلك بالتعليم دون تمييز، ويجب الارتقاء والتطور وهذا سيشجع الأولياء لإرسال أبنائهم وتحقيق نتائج مشجعة[91]".

ويختم محمد بن رحال تدخله بقوله : "بأن مسألة التعليم تعتبر رأس مال الجزائر مستقبلاً، حتى وإن كانت بمخيمات، لأنها تكوّن جيلاً مثقفًا، وخاصة بعد القضاء على الفكرة القديمة التي تشترط إنشاء المدارس المكلفة،ذلك أن قيمة المدرسة الواحدة بالبلدية يمكن أن تفتح بها عشرة مدارس في الريف، ونتمكن من العناية والاهتمام بها بأبسط الوسائل الإدارية والمالية. وأتمنى أن تجد اقتراحاتي هذه آذانًا صاغية لتجسيدها في الميدان وتحقق الكثير للجزائريين المتعلمين"[92].

إن الوثيقة الثانية متعلقة بالمشروع الذي قدمه السيد بن رحال سنة 1892م، حول إعادة تنظيم التعليم العالي بالجزائر، ويبين بأن التعليم الإسلامي أصبح غير موجود في الجزائر، أو هو في حالة بدائية، بالكتاتيب والزوايا، وما هو بمرحلته الأولى بالنسبة لمدارس تلمسان والجزائر وقسنطينة، وهذا بسبب الاستعمار. يفتتح بن رحال مشروعه بقوله : "إن التعليم يجب النظر إليه من وجهة تكاملية، بحيث تكون ضرورة الاهتمام بالتعليم الثانوي والعالي الفرنسي، مماثلا للتعليم الإسلامي الخاص بالجزائريين، لأنه يلاحظ بأن التعليم الفرنسي محكم التنظيم، وسخرت له جميع الإمكانيات المادية والبشرية، بينما

تعليم الجزائريين منعدم، وإن وجد فهو في مرحلته البدائية في الكتاتيب والزوايا وبمدارس تلمسان والجزائر وقسنطينة[93].

إن المدارس الثلاث رغم تنظيمها واهتمامها بتخريج رجال القضاء والإفتاء، إلا أنها استمرت دون مستوى التقدير، لأن الجزائريين استمروا في تفضيلهم للمتخرج من الزاوية والمسجد، بأنه أحسن من غيره.

لذا يجب الإكثار من هذا النوع من المدارس ورفع عدد التلاميذ بها، وتحسين مستواهم وهذا لإيقاف خطر تسلل بعض المعلمين من تونس والمغرب، وإثبات بأن الاعتماد على المعلمين المحليين يحقق النتائج المرجوة في إطار المحافظة على التقاليد والتاريخ والدين.

إن تعليم الفرنسية يجب أن يكون مظهرا من مظاهر التطور العلمي والمعرفي، وليس منافسة اللغة العربية أو القضاء عليها لكي لا يستمر الرفض والمقاومة، وعندئذ تكون طرق التعليم متكاملة، ويجب أن يكون ذلك بالمشروع الآتي : إعادة تنظيم كامل للمدارس الثلاث [94]، الجزائر، تلمسان، قسنطينة.

تحديد المدة الدراسية بثلاث سنوات.

- مضاعفة عدد التلاميذ.

- رفع عدد الأساتذة والعلماء حتى وإن استدعى ذلك الاستعانة بالأجانب.
- تكوين مساعدين فرنسيين متمكنين من اللغة العربية كتابة ونطقاً، ويكون هذا خاصًا بأساتذة اللغة الفرنسية.
- يكون امتحان نهاية الدراسة بمدرسة الجزائر وتضاف سنتان للتكوين العالي[95].
- ينظم امتحان في نهاية السنة الخامسة.

إن نجاح هذا الإصلاح يتركز خاصة على ضرورة إدراج اهتمام كبير بالعلوم الإسلامية، ووضع مواد اللغة الفرنسية المهمة فقط، وتنظيم امتحان صارم يتوج بشهادة تعادل البكالوريا، ويكون ذلك مفتوحًا للجميع، ويختم ابن رحال تدخله بأن مستوى المتخرجين من الجامعات الفرنسية يتماثل مع مستوى الجزائريين المتخرجين من القرويين بفاس، والأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، ونأمل في المستقبل أن نفتخر ونعتز بالمتخرجين من الجزائر عندما تحترم فرنسا الشعب الجزائري وتقدس مقوماته[96].

بالإضافة إلى هذا، فلمحمد بن رحال تدخل ودفاع عن اللغة العربية في التعليم من حوالي 13 ورقة (31 × 21)[97].

دور المساجد والمدارس والزوايا في المقاومة الثقافية:

استمرت العداوة الرسمية والأوروبية لمراقبة نشاط التعليم العربي، ومع ذلك فقد واصلت مؤسساته نشاطها، ويؤكد ذلك اعتراف الاستعمار نفسه بذلك مؤكدًا أن عدد الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة يفوق ما يوجد في الجيش الفرنسي، وأن نسبة الأميين في الجيش الفرنسي هي 45%، أما نسبة المتعلمين من الجزائريين فهي 55%[98].

كما تشير إحصائيات سنة 1871م بأن عدد المؤسسات التعليمية الجزائرية كان حوالي 2000 مؤسسة، بها 28000 تلميذً ومدرسوها جزائريون يتقاضون مرتباتهم من الشعب. وكانت المهمة هي تحضير الطلاب للالتحاق بجامع الزيتونة في تونس والقرويين بفاس ونحو الشرق العربي[99].

أما المناطق الصحراوية التي كانت بعيدة عن الاحتلال خلال العشرين سنة الأولى من الاستعمار، فقد ظلت مستمرة أكثر من غيرها في نشر رسالتها التعليمية، كمنطقة بسكرة مثلا التي كان عدد الزوايا بها 56 زاوية فيها 852 تلميذًا بعد سنة 1844م[100].

استمر التعليم في المساجد فكان بعد الاحتلال في المسجد الكبير نحو 19 أستاذًا، ورد ذكرهم في مجموعة الأساتذة الذين أجازوا المفتي سيدي حميدة العمالي[101]، وسيد

مصطفى بلحاج محمد الحرار[102].

فمن المشايخ الذين أخذ عنهم حميد العمالي المفتي محمد بن الشاهد[103] والشيخ العربي ومحمد بن الكاهية ومصطفى بن الكبابطي[104] والقاضي وعزيز.

أما الذين أخذ عنهم مصطفى الحرار فهم علي بن محمد الملجلاتي[105] ومحمد بن ابراهيم موسى[106] وعلي بن الأمين[107] والحاج حمودة الجزائري ومحمد صالح البخاري الرضوي بن خير الله.

أما بالشرق فكان بقسنطينة الشيخ محمد بن علي الطلحي المدرس بمسجد سيدي مسلم الحراري، وعمار العربي المدرس بمسجد القصبة، ومحمد بن سالم بمدرسة سيدي الأخضر.و في الغرب كانت عائلات شهيرة منذ أواخر العهد العثماني، واستمرت كذلك في العلم والتعليم، مثل عائلة شعيب وعائلة المجاوي.

يضاف إلى هذا نشاط بعض المدارس التي كانت قبل الاحتلال، واستمرت بعده تواصل مهمتها بصعوبة، كمدرسة سيدي أيوب بالقرب من الجامع الجديد، ومدرسة حسن باشا في جوار جامع كتشاوة، ومدرسة زاوية القشاش والشبابرية وزاوية سيدي محمد الشريف. أما بقسنطينة فقد كانت مدرسة الكتانية ومدرسة سيدي الأخضر، وكانت مدارس أيضًا

بوهران ومازونة. هذا بالإضافة إلى الزوايا المنتشرة في مختلف المناطق خاصة بالريف، مثل زاوية شلاطة وزاوية أبي داوود وزاوية الهامل[108].

إن الزوايا كانت تشبه كثيرًا المعاهد العلمية الحالية واشتهرت بتعليم القرآن وأحكام قراءته والفقه ومختلف العلوم الإسلامية واللغة العربية، وكانت بعد مرحلة معينة من التعليم ترسل طلبتها إلى جامع الزيتونة بتونس أو جامع القرويين بالمغرب أو جامع الأزهر بمصر. وبعد إتمام الدراسة يعودون إلى التدريس بالزاوية الأم أو زوايا أو مساجد بالوطن[109]. وقد كانت بالزوايا مكتبات بها كتب في مختلف العلوم، خاصة الدينية[110]، وبها 200 معلمًا سنة 1871[111]. ومن بين هذه الزوايا:

1 – زاوية الهامل :

إن مؤسس زاوية الهامل[112] قد حفظ القرآن ومبادئ اللغة العربية بمنطقته، ولما بلغ الثالثة عشر من عمره توجه إلى زاوية سيدي علي الطيار بالقبائل الصغرى، وانتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود قرب أقبو عام 1252هـ/1838م، حيث تعلم الفقه والتفسير والحديث وفنون اللغة العربية، ورجع بعد ذلك إلى الهامل عام 1265هـ/1848م فتولى التعليم مدة تسع سنوات، ويلاحظ بأنه خلال هذه الفترة قد كان يتصل بالأمير عبد القادر عن طريق المراسلة، واجتمع به في ناحية التيطري بنية

الالتحاق بصفوف المجاهدين تحت لوائه، لكن الأمير دعاه إلى تحمل أعباء التربية والتعليم وإعداد الأمة للجهاد والاستبسال في المقاومة، ولتحقيق هذا الهدف نصحه بتأسيس زاوية لتحفيظ كتاب الله ونشر لغة القرآن وعلوم الإسلام.

ابتداء من سنة 1271هـ/1854م بدأ مؤسس زاوية الهامل ينتقل بين قريته وزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال للتعليم فيها، واستقر بعد سنة 1277هـ/1860م بمسقط رأسه وواصل ممارسة التعليم، ثم بدأ في بناء زاويته خلال عام 1279هـ/1862م وافتتحها في غرة محرم 1280هـ/1863م[113].

رغم الأساليب الاستعمارية الوحشية، استمرت الزاوية في نشر التعليم العربي الإسلامي، وكان طلاب العلم يقصدونها من كل الجهات، وكانت أحيانا تنافس حتى الزيتونة والقرويين، كما يشير إلى ذلك أبو القاسم الحفناوي[114].

2 – زاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي[115]:

تركزت الدراسات في هذه الزاوية في البداية على العلوم العربية، أي النحو والصرف والبلاغة، أما الفقه فكان في الدرجة الأخيرة، ويرجع ذلك إلى كون معظم الطلبة الذين التحقوا بهذه الزاوية كانوا قد درسوا القراءات والفقه، وبعد سنة 1898م ترأس الزاوية الشيخ أحمد بن محمد وكان فقيها، لذلك تقلصت في عهده العلوم العربية قليلاً وازدهر الفقه، وقد

أحدث الشيخ ما يمكن أن يسمى الدراسة الموسمية، إذ خصص أشهر الشتاء لتدريس الفقه بصفة معمقة لعدد كبير من المثقفين الكبار في السن الذين لم تسمح لهم ظروفهم المعاشية أن يواصلوا الدراسة في المعاهد طول العام، وهذا النظام يسمح أن يقبلوا على الدرس بعد أن يكونوا قد انتهوا من حرث أراضيهم وجمع التين والزيتون خلال فصل الخريف، وكانت الدروس تعطى في أواخر النهار وبعد الفجر، وذلك لتتاح الحرية لبعضهم في الانصراف إلى العمل وللتجارة[116].

إن زاوية بوجليلي تتميز بأن رئاستها دائمًا تكون لأحد أبناء العائلة، وتكون هذه الرئاسة شرفية لأن إدارة شؤون الطلبة وتسيير الزاوية يقوم بها الطلبة أنفسهم ونظام الزاوية داخلي، ويعيش الطلبة من تبرعات المحسنين، وقد تخرّج منها كثير من العلماء في العلوم القرآنية والفقه واللغة العربية، وقد ساهم معظمهم بعد التخرج في نشر العلم وتولى بعضهم القضاء والإفتاء[117].

3 – زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي :

تأسست هذه الزاوية سنة 1880م على يد الشيخ عبد القادر بن عمر بن محمد بن عبد القادر بن الرحمان بن القاضي الحمامي بقرية الحمام (ولاية البويرة حاليًا). تعلم مؤسسها بزاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي، ولقد كان طلاب هذه الزاوية

كثيرين، إذ بلغ عددهم خلال هذه الفترة حوالي 500 طالب معظمهم استمر في ممارسة نشر المعارف التي تلقاها في زاويته[118].

4 – زاوية سيدي منصور الجنادي :

تميزت هذه الزاوية ببلاد القبائل باحتوائها على سبعة عشرة معمرة لتدريس القرآن وشرحه وتلاوته وضبطه ورسمه، بالإضافة إلى دراسة الأجرمية، شرح مختصر خليل، الجبر، الأشعار، البلاغة، وقد كان الطلبة يستمرون فيها من خمس إلى عشر سنوات طلبا للعلم حسب الظروف والاستعدادات والمؤهلات الخاصة[119].

5 – زاوية ابن سحنون بتاغراست[120]:

تعتبر هذه الزاوية بمثابة المعهد القرآني العلمي الداخلي، وكان هدفها بعث نهضة علمية فكرية يرتبط ماضيها بمستقبلها، وكان عدد الطلبة بها يتراوح سنوياً بين 300 و 500 طالب، وكان التعليم منظمًا حسب نوعين من الطلبة : طلبة القرآن، وطلبة العلم (العلوم العربية والدينية).

لقد نظم طلبة العلم في أربع طبقات حسب الكتب المدروسة، وكان المتخرجون يمكنهم أن يلتحقوا ببساطة بالزيتونة أو المدرسة الكتانية، وتولى التدريس في هذه الزاوية مؤسسها الشيخ محمد السعيد والشيخ بلقاسم بن أحمد بن علي

وغيرهم[121].

6 – زاوية الخليفة سي الشريف ابن الأحرش بالجلفة :

لقد أسس سي الشريف زاويته بعين شنوف بالجلفة سنة 1855م، وقام بزراعة الأرض وأقام سدًا على ضفة الوادي لسقي الأراضي الواسعة المخصصة لزرع البطاطا، وكان له قطيع كبير من الغنم لتحقيق الضروريات للزاوية والمدرسين والطلبة، المقدر عددهم في هذه الفترة 500 طالب يتعلمون القرآن الكريم وعلوم الشريعة[122].

7 – زوايا إقليم توات[123]:

إن هذه المنطقة أحسن حظًا من باقي المناطق التي عاث فيها الاستعمار فسادًا منذ 1830م، لذلك استمرت في أداء رسالتها التعليمية[124]، وكانت منارًا للعلم في وسط الصحراء الواسعة التي وصل إشعاعها إلى السودان الغربي، وكان ذلك عن طريق قوافل التجارة والمسافرين والحجاج. وخير شاهد على ما كانت عليه توات من الناحية الثقافية والتعليمية ما تركه المشايخ التواتيون من أشعار وتآليف وفتاوى وغيرها، بالإضافة إلى ما جاء ذكره بأن إحدى المدارس خلال هذه الفترة كان بها ما يزيد على أربعمائة تلميذ يأكلون ويشربون وينامون في مستوى رفيع ويتعلمون، وكان لذلك تأثير كبير على البعض فأنشد يقول :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما *** قد حدثوك فما رأى كما من سمعا[125]

إن المشايخ التواتيين اهتموا بعلوم اللغة والدين ولم يهتموا بتحصيل العلوم الأخرى، وربما كان مرجع ذلك تأثرهم بما كان عند المشرق والمغرب من اقتصار على العلوم الإنسانية فقط.

وقد ساعدت كثرة الزوايا التابعة للطرق الصوفية على فتح باب فرص التعليم أمام طالبي العلم التواتيين، فلم يخل قصر أو مدينة من زاوية أو أكثر، بعضها رئيسي والآخر فرعي. لم يقتصر دور الزوايا على نشر وتعميق التعاليم الإسلامية بين الأهالي فقط، بل كان التعليم من ضمن أهدافه الرئيسية، حيث كان يلحق بهذه الزوايا أماكن للتعليم بالإضافة إلى امتلاك كل الزوايا لخزانة من الكتب المتنوعة التي تتناول أمور الدين من فقه وتفسير وحديث وسير، وتذكر لنا إحدى المصادر بأن زاوية قصر ملوكة كانت تضم أكبر خزانة للكتب في المغرب العربي، وكذلك يذكر صاحب القول البسيط بأن الزاوية البكرية بمدينة تمنطيط كانت تمتلك من كتب الشيء الكثير[126].

كان الكثير من المدرّسين في توات يمتلكون أمهات الكتب، وقد حافظوا عليها بنسخها كلما دعت الضرورة، فالشيخ الحسن بن سعيد البكري يذكر في مقدمة إحدى

الكتب التي قام بنسخها بأنه لم يدفعه إلى ذلك إلاّ خوفه من تلف هذه المخطوطات التي تحتوي العديد من المعارف والعلوم، والتي لم يهتم أحد بنسخها، وأصبحت معرّضة للاندثار[127].

إن المادة الأساسية في التعليم هي اللغة العربية والشعر وقيامهم بشرح أو تعليق أو اختصار أو تبسيط للموضوع، ليسهلوا به عملية الحفظ.

كان هذا خاصا بالنصوص على شكل جمل مسجوعة أو على شكل أرجوزة، لأن ذلك هو أسلوب التعليم المتبع عندهم. ومن بين الشيوخ الذين لعبوا دورًا هامًا في التعليم بالمنطقة نجد محمد عبد الكريم[128]، الذي ولد ببني تامرت سنة 1288هـ/1871م ونشأ بها ثم ارتحل إلى مدرسة السيد أحمد الحبيب ورجع بعد ذلك إلى منطقته مدرسًا، خاصة منذ 1318هـ/1898م للفقه والنحو والفرائض ونظّم قصائد كثيرة في الآداب ومناظرة العلماء والاستفادة منهم، فيقول :

خذ الجواب واصغ للبيان *** بعون ربّنا الكبير العالي[129]

ويبيّن ضرورة التأدب في طلب العلم فيقول :

عليك السلام التام الأعلى المهذب *** أيا أيها الحبر الفقيه المؤدّب

وبعد فخذ أخي جوابًا يناسب *** به اللغز الخطاب قصد التجارب

لقد تميز محمد بن عبد الكريم بالذكاء وقوة الاجتهاد، وله فتاوى لا تعد ولا تحصى، ويعتبره البعض أشهر علماء التوات[130].

ومن الشيوخ المدرّسين أيضًا أبو عبد الله أحمد حبيب البلبالي، درس أصول الفقه وفروعه بالإضافة إلى النحو والصرف واللغة وعلم الحديث والتفسير، ويصفه البعض أثناء تدريسه بأنه كان كالمطر الوابل، وتخرج على يديه الكثير من التواتيين، فأصبح البعض منهم قضاة كابن عمه محمد بن القاضي ونجليه الفقيهين كابن عمه محمد عبد الرحمن، الذي أصبح مدرسًا وقاضيًا، ومحمد سالم وغيرهم، وله قصائد شعرية يقول المؤلف لم يحضرني الآن منها شيئ وتوفي عام 1317هـ/1899م[131].

أما عبد العزيز فقد ولد بملوكة ودرس الفقه والنحو[132]، حتى لقبه البعض بسيبويه ثم اشتغل بالتدريس وأجاز الكثير، وجاء في إحدى إجازته :

سألتم من هذا العبيد إجازة *** وإني بها في غير حبل أحطب
وها أنا ذا بعد اعتذار أجزتكم *** إجازة عبد خائف يترقب
تدور على المنقول على سيد الورى *** وما هو معقول للإعلام ينسب
بشرط اتقاء الله في كل حالة *** وفي كل قول تلفظه

فيكتب[133]

يظهر من خلال هذه الأبيات تدينه إلى درجة التصوف وتواضعه في التعليم، توفي سنة 1261ه.

ومن المعلمين أيضًا الشيخ البكري[134]، وهو شاعر وصوفي كان مولعًا بالعلم من صغره، أصبح بعد ذلك زاهدًا وزار الحجاز والشام ومصر وتونس، وبنى الزوايا في كل من تونس والشام والجزائر، واستقر بعد ذلك بالزاوية التي بناها بالقرب من بلدة تمنطيط[135].

وله تآليف كثيرة، وكان واسع المعارف إذا سئل عن مسألة يقول للسائل أتريد الجواب نظمًا أو نثرًا، وكذلك إذا سئل عن كتابة وثيقة أو سؤال يقول للسائل أريد الوثيقة نظمًا أو نثرًا، ويأخذ قلمه ويكتب ما طلبه منه في الحال، وكانت له عدة تآليف مخطوطة تدرس في الزوايا والمساجد والكتاتيب، كنظم التوحيد وشرح همزية البوصيري وقصائده الكثيرة[136].

وهناك شيخ آخر يدعى الزجلاوي يقول فيه صاحب قطف الزهرات أنه ألف تآليف عديدة ودرس وتحاور مع العلماء الأجلاّء، فظهرت مكانته العلمية، وترك عدة تآليف أهمها شرح أبي المودة خليل والألفية في غريب القرآن التي كانت توصف بأنها للطلبة كالغذاء للأرواح والأبدان، وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء 23 شوال سنة 1212هـ/1798م[137].

كان بتوات مجموعة كبيرة من المعلمين و لم يذكر إلا

القليل منهم مثل ما ورد في قطف الزهرات[138] ، وهذا بسبب قلة التآليف، أو الإشارة إليهم بطريقة سطحية.

نتائج المقاومة الثقافية:

إن المقاومة الثقافية تصدت للتحدي الفرنسي المسيحي عبر أنحاء الوطن، ومن مظاهر هذا التحدي رفض الأساليب الاستعمارية المختلفة، كالإدماج، وذلك بتقديم عرائض أو كتابة المقالات بالصحف، خاصة بعد الهجرة، وحتى بالشعر الشعبي.

وهكذا بدأت المقاومة بمحاربة المدرسة الرسمية وخطة الاستعمار الثقافية، وحرض المثقفون الشعب على رفض السياسة الاستعمارية وبينوا له أهدافها وخطورتها، وجعلوا من كل مدرسة جزائرية، وكل مسجد، وكل زاوية مركزًا محصنًا لمحاربة العدو، وعمدوا على توحيد الصفوف وتنسيق الجهود والآراء، حتى أصبح المستعمر يتساءل عن سر الوحدة الشعبية القوية دون أن يلتمس أسبابها الحقيقية. وفي هذا السياق ذكر دونوفو في كتابه الإخوان : "لقد أثر في المواطنين رجال جاؤوهم باسم الدين يحرضونهم على الثورة والتخلي عن المحراث"[139].

إن التعليم في الزوايا، والمساجد، والكتاتيب كان البديل الوحيد الذي وقف في وجه سياسة التجهيل الفرنسية، وهو شكل من أشكال التعبير عن الذات، فيقدر ما كانت

المدرسة الفرنسية في الجزائر بعيدة عن الشعب ومعادية لمطامحه ومتنكرة لواقعه، كانت المدرسة التقليدية ملتصقة بالشعب ونابعة من إحساسه بتمايزه عن المستعمر ورغبته في احتفاظه بانتمائه العربي الإسلامي، ولعل هذا ما يفسر استمرار المدرسة التقليدية منطوية على نفسها، وانكماشها داخل المساجد والكتاتيب والزوايا، ولم تتفاعل مع النظام التعليمي الاستعماري الذي مضى على تواجده في الجزائر نصف قرن تقريبًا.

لقد استطاع أصحاب الاتجاه التقليدي أن يكونوا جزءًا من النهضة العربية، خاصة بعد انتقالهم إلى الخارج، كابن العنابي و الأمير عبد القادر وغيرهم، وكانوا أيضًا سفراء للجزائر فعرفوا الأصدقاء والأشقاء بواقعها المعاش، وذلك بإلقاء دروس في المساجد ونشر المقالات والقصائد.

إن العناصر التي بقيت في الجزائر قاومت الاستعمار بمختلف الطرق، كما كان بالنسبة للشعر الشعبي الذي ظهر ابتداء من سنة 1850م، داعيًا إلى المقاومة وكان بمثابة الصرخة المزعجة في وجه الاستعمار، فأثار الحماس الشعبي بتذكير الجماهير بماضيها وقيمها، كالشجاعة والجهاد، ولم يكن للشعر الشعبي مدرسة ينتسب إليها أو حركة يتقيد بخطتها، ولكنه كان المتجول الأبدي الذي يعقد حلقات الإنشاد في كل مدينة وقرية، وفارًا من المراقبة العسكرية الفرنسية، وقد يبدو

هذا النوع من الثقافة الشعبية تافهًا إذا قيس بميزان العقل، لكنه غير ذلك إذا علمنا أن هذه الثقافة الجماهيرية كانت تقريبا آخر ملجأ لإنقاذ ما تبقى من مقومات الأمّة[140].

إن بطولة هؤلاء الشعراء الشعبيين كانت تتلخص في صرختهم الثورية، حينما سكت الفقهاء ورجال الدين، ولم تكن ترمي إلى تثقيف الناس، ولكنها كانت تهدف إلى إثارة الحماس وبعث الأمل في الأمة بكل الوسائل، وبالأسطورة على الخصوص لأنها أثبت في الخيال وأقوى ارتكاز في عواطف شعب أنزله الاستعمار الفرنسي إلى الدرك الأسفل من الأمية[141]، وبالإضافة إلى ذلك قاد زعماء المدرسة التقليدية المقاومة الجزائرية.

إن هذا قد ترك أحد المؤرخين الفرنسيين يصرح بأن الاستعمار وجد المقاومة عند السكان العرب والقبائل، أما الأتراك فإن نفوذهم قد تقلص بمجرد احتلال الجزائر. والعجب أن هؤلاء السكان لهم وحدة، وكانوا دائمًا يحارب بعضهم بعضا، فالرابطة الوحيدة التي تضمهم هي الدين الإسلامي الذي عرفوه في المساجد والزوايا والكتاتيب[142].

الهوامش

1 - Le Baron Pichon, **Alger sous la domination française son état présent et son avenir**, Paris 1833, p444.

2 - Clauzel, **Observation du général Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**, Paris 1831, p108

3 - أبو القاسم سعد الله، **المفتي الجزائري ابن العنابي**، الأصالة، عدد 31 مارس 1976، ص ص 38-39.

4 - تآخى مع الفرنسيين وتقلد مناصب في بداية الاحتلال، من بينها الإشراف على لجنة لتقدير تعويضات الأملاك المهدمة.

5 - حمدان خوجة، مرجع سابق، ص237.

6 - عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)**، تونس 1972، ص69.

7 - أبو القاسم سعد الله، "**قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843، موقف المفتي الكبابطي من الأوقاف واللغة**"، مجلة عالم الفكر م16، العدد الأول، أفريل، ماي، يونيو، الكويت، ص ص252-253.

8 - سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائر في المنتصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة**، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى، الجزائر 1964، ص **3**

9 - جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830 -1944م)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2007، ص ص 13 -17.

10 -الأمير عبد القادر بن محي الدين (1808م – 1883م) قاد المقاومة الجزائرية ثمانية عشر سنة تقريبًا، سياسي، إداري، أديب، شاعر، اعترف به العدو والصديق، حضر افتتاح قناة سويس سنة 1869م وجلس جنبًا إلى جنب مع رؤساء وملوك أوروبا انظر : اسماعيل العربي، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر،

1982م، ص4.

11 -زكريا عبد الرحمن صيام، **الأصالة والتجديد في شعر الأمير عبد القادر**، الثقافة، عدد 73، ماي/جوان 1983م، الجزائر، ص293.

12 - رابح بونار، **نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر**، الأصالة، جوان/أوت/سبتمبر/أكتوبر، الجزائر، 1979م، ص51.

13 -عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، بيروت 1403هـ، ص29.

14 -عمار طالبي، "**الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر**"، جريدة الشعب، رقم 6081، الثلاثاء 17 ماي 1983م، الجزائر، ص11.

15 - بونار، مرجع سابق، ص52.

16 - الجيلالي، **تاريخ الجزائر**،مرجع سابق، ص29.

17 - قداش، محفوظ، **الأمير عبد القادر**، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، 1974، ص 61.

18 - إسماعيل العربي، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ط2، الجزائر، ش.و.ن.ت 1982، ص 241.

19 - جغلول عبد القادر، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر** ، ترجمة سليم قسطون، بيروت 1984، ص ص11-13.

20 - ولد صالح بن مهنا عام 1840م في قرية العشرة (كركرة) قرب القل.

21 - درس عليه الشيخ في تونس صحيح البخاري واستقر بعد ذلك بالمدينة المنورة حتى وفاته سنة 1296هـ/1878م.

22 - مدرس مختصر الشيخ خليل بجامع الزيتونة، توفي حوالي 1863م.

23 - أديب وشاعر تونسي، دفين الزلاج بتونس سنة 1288هـ/1870م.

24 - درس عليه بن مهنا سنة 1276هـ، 1856م سند الإمام مالك بجامع الزيتونة، وتوفي نيفر سنة 1290هـ/1873م.

25 - خطيب بجامع الزيتونة، توفي 1860م.

26 - مدرس بجامع الزيتونة، توفي سنة 1867م

27 - مدرس بالأزهر للفقه.

28 - مفتي المالكية بمصر، توفي 1881م، انظر : سليمان الصيد، **صالح بن مهنا القسنطيني**، الجزائر 1983، ص ص27-46.

29 - السيد، فؤاد صالح، **الأمير عبد القادر في دمشق جوانب حياته الدينية والعلمية والفكرية** (1272 -1300هـ/1856 -1883م)، الثقافة، عدد 75، ماي / جوان 1983، الجزائر ص53.

30 - نفسه، ص55.

31 - نفسه، ص .73.

32 - لابن مهنا أكثر من 56 كتاب مخطوط، حوالي 5 كتب مطبوعة، انظر : الصيد، مرجع سابق، ص ص177-184.

33 - نفسه ، ص104.

34 - محمد سعيد بن زكري ولد سنة 1851م/1267هـ ببلاد القبائل وألف أوضح الدلائل وطبعه سنة 1903م/1321هـ بالجزائر، وتوفي سنة 1914م/1332هـ. انظر : بن أبي شنب، **النهضة العربية**، مرجع سابق، ص47.

35 - ابن أبي شنب ، مرجع سابق، ص48.

36 - ابن زكري، محمد سعيد. **أوضح الدلائل بوجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، الجزائر 1903، ص 11.

37 - نفسه، ص ص15-54.

38 - نفسه، ص16

39 - نفسه، ص69.

40 - نفسه، ص46

41 - نفسه، ص73.

42 - ابن زكري، مرجع سابق، ص54.

43 - نفسه، ص ص72-89.

44 - ساحي، أحمد، **أعلام من زواوة**، إقواون، بدون تاريخ، الجزائر، ص 58.

45 - الحفناوي ، أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيروت 1982، ص449.

46 - سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة** ،مرجع سابق، ص50.

47 - عمر بن قينة، **شخصيات جزائرية**، الجزائر 1983، ط1 (فصل عبد القادر المجاوي، حياته، آثاره، 1818-1914).

48 - سعد الدين بن شنب، مرجع سابق، ص52.

49 - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره،** الجزائر 1983م، ص ص13-19.

50 - الجيلالي، **محمد بن أبي شنب،** وانظر أيضًا سعد الدين بن شنب، **النهضة**،مرجع سابق. وتجدر الإشارة إلى أن سعد الدين هو الابن البكر لإخوته الخمسة ذكور والأربع إناث لأبيهم محمد بن أبي شنب.

51 - هو أبو حامد محمد الغزالي ولد بخراسان عام 450هـ/1058م، ألف عدة كتب منها البسيط، الوسيط، الوجيز، خلاصة علم الفقه، المنقذ من الضلال، إحياء علوم الدين، أطلق عليه حجة الإسلام، لأنه رد على جميع المذاهب الفلسفية في كتاب "تهافت الفلاسفة"، كما رد على جميع المخالفين للإسلام عمومًا، وكان يحث على تعليم الناس ونشر الفضيلة بينهم.

انظر : Mohamed Bencheneb, **lettre sur l'éducation**, Revue Africaine, 1901,n°45 p101.

52- Bencheneb, R A,n°45 ibid, p103.

53 - إن الغزالي في كتاباته لم يشر مباشرة إلى تعليم البنت، فقال مثلا العلم فريضة على كل مسلم، وحث الزوج بتعليم زوجته بأمور دينها، وكان المشكل الحقيقي عند الغزالي هو مكان التعلم وكيفياته وحدوده، ونجد ابن شنب قد ركز على ذلك لأنه ظهرت عدة كتابات في هذا الموضوع في هذه الفترة أهمها : قاسم أمين ودعوته لتحرير المرأة (1865م – 1908م)/ محمد عبدو (1849م - 1905م)،

جمال الدين أفندي، الرد على تحرير المرأة (1844م – 1908م)، مصطفى بن الخوجة (1865م – 1915م)، الاكتراث في حقوق الإناث 1895م...

54- P. Mourlan,(P) **législation**, et Réglementation de l'enseignement primaire publique des Indigènes en Algérie, p5.

55- Bencheneb, Revue Africaine,n°45 ,op.cit , p.103.

56- Bencheneb,R.A n°45, ibid, p.105.

57- Ibid, p107.

58- Ibid

59- Ibid, p.108.

60- Ibid, p.p103-105.

61- Ibid, p.101.

Hammer, Schmoders, barbier de Meynard, Gosche, Munk, Dugat, Rennau: ومنهم .

62- Mousi Sayadi, **Aljam'iya Al-Khalduniyya (1896 – 1958)**, Tunisie 1974, p38.

63- Sayadi, ibid, p46.

64- Ibid, p48.

65- Mohamed Bencheneb, **Notions de pédagogie Musulmane**, Revue Africaine, n°41 Alger 1897, pp267-285.

66- Ibid, p267.

67- Ibid.

68 - القران الكريم ،سورة النحل،الاية: 43

69- Bencheneb, ibid, p.279.

70- Bencheneb,R.An°41, ibid, p.281.

71- Ibid, p.p282-283.

72- Ibid, pp283-285.

73 - أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، أربعة أجزاء، القاهرة 1957م.

74 - عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المقدمة، بيروت، 1900م، الباب السادس، الجزء الأول، التعليم من صفحة 588/429.

75 - ابن سحنون، محمد، كتاب آداب المعلمين، تقديم وتحقيق مقارن، محمد عبد المولى، الجزائر، 1981، ص ص67-97.

76- Mohamed Ben Rahal, **Etude sur l'application de l'instruction publique en pays Arabe**, bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran 1887, Tome VII, p57

77- Abdelkader Djeghloul, **huit études sur l'Algérie**, Alger 1986, pp36-37.

78- Ibid, p39.

79 - عبد القادر جغلول،**الاستعمار الصراعات الثقافية في الجزائر ،** ترجمة سليم قسطون بيروت 1984، ص41.

80- Djeghloul, **huit etudes**, Ibid, p40.

81- Ben Rahal, **étude**, Ibid, p42.

82- Fanny Colonna,**Instituteurs algeriens (1883-1939)**, Paris 1975 , p21.

83 - اجرون، ش، ر. **الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 -1919)**، نقله إلى العربية م حاج مسعود، أبكلي، دار الرائد للكتاب، ج1، الجزائر 2007، ص.600

84 - نفسه ، ص.627.

85- Ben Rahal, **étude**, ibid, p.6.

86- Ibid.

87- Ben Rahal, **étude**, ibid, p8.

88- Ibid,p9.

89- Ibid, p11.

90- Ibid, p12.

91- Ibid, pp13-14.

92- Mohamed Ben Rahal, **projet de réorganisation de l'enseignement supérieur en Algérie**, Mai 1892, p17.

93- Ben Rahal, **projet,** ibid p.18.

94- Ibid, p19.

95- Ibid, p20.

96- Ben Rahal ,**projet**, ibid, p21.

97- Mohamed Ben Rahal, **Intervention aux délégations financières sur l'enseignement de la langue arabe**, délégations financières, Mai/Juin 1921.

98 – قنان، **التعليم الأهلي**، مرجع سابق، ص ص13-17.

99- Turin,(Y), **affrontement culturels dans l'Algérie coloniale**, écoles, médecines religion, (1830-1880) Paris 1971, pp 203-207.

100- De Slave, **instruction publique en Algérie**, Alger 1878, op.cit, pp12-14.

101 - مفتي المالكية بالعاصمة (1812م – 1874م)، انظر : سعد الدين بن أبي شنب، **النهضة العربية في الجزائر**،مرجع سابق، ص35، الحفناوي، **تعريف الخلف** ، ج2، مصدر سابق، ص.546.

102 - الحفناوي، نفسه، ص.35.

103 - مفتي المالكية سنة 1770م، نفسه

104 - مفتي المالكية، نفسه، ص35.

105 - مفتي المالكية في سنة 1824م، نفسه، ص35.

106 - مفتي المالكية في سنة 1824م، المصادر السابقة.

107 - مفتي المالكية في سنة 1821م، انظر ،ابن أبي شنب، نفسه، ص36.

108 - بن أبي شنب، **النهضة**، مرجع سابق، ص39.

109 - محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، سوريا 1989 ، ص159.

110- Jacques, Carret, **le Maraboutisme et les confréries religieuses Musulmanes en Algérie**, Alger 1959, p.3.

111- Ibid., p26.

112 - هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن عبد الرحيم الشريف الحسني، من كبار رجال التصوف ولد سنة 1223هـ/1817م بالحامدية بحاسي بحبح.

113 - نسيب، نفسه، ص157.

114 - لحفناوي، **تعريف الخلف**، مصدر سابق، ص354.

115 - مؤسسها الشيخ محمد أبو القاسم المولود سنة 1826م ببني ورثلان، انظر : نسيب، نفسه، ص171.

116 - نفسه، ص172.

117 - نفسه، ص174.

118 - نفسه، ص179.

119 - ساحي، نفسه، ص58.

120 - تقع بدائرة سيدي عيش ولاية بجاية حاليا، أسسها الشيخ محمد السعيد بن سي السعيد أمقران السحنوني المولود حوالي الأربعينات من القرن التاسع عشر والمتوفى سنة 1914، انظر : نسيب ،مرجع سابق، ص166.

121 - نسيب، نفسه، ص167.

122 - فرانسوا دوفيلاري، **الخليفة سي الشريف بن الأحرش وزاويته**، ترجمة هزرشي عبد الباقي، جريدة الخبر، الاثنين 20 أكتوبر 1997م، الجزائر، ص19.

123 - إقليم توات يقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية وتبعد أقرب نقطة منه على العاصمة بحوالي 1500 كم، وكانت تضم أدرار تيميمون، عين صالح، ويمتد حتى منطقة قرارة ومنطقة تيديكلت.

بدأت بها مقاومة الاستعمار منذ سنة 1869م، وازدادت نشاطا وفعالية هذه المقاومة بعد سنة 1882م عند وصول الشيخ بوعمامة إلى المنطقة، ولم يتمكن الفرنسيون من التوغّل في المنطقة إلاّ بصعوبة إذ استولوا على منطقة القرارة في 26 يناير 1900م، واتخذوا من مدينة تيميمون – وهي أكبر مدينة – مركزًا حربيًا لعملياتهم في الصحراء، وفي شهر جويلية في نفس العام استولوا على منطقة توات وفرضت فرنسا بعد ذلك الحكم العسكري على كافة الصحراء الجزائرية.

انظر : فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، الجزائر 1977م، ص ص1-12.

124 - إن معظم تراث المنطقة التعليمي عبارة عن مخطوطات مازال معظمها حبيس المكتبات الخاصة، والبعض الآخر أتت عليه الأرضة فحولته إلى مسحوق.

125 - عبد العزيز سيدي عمر، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر 1985، ص12.

126 - محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، المشهور بابن بابا حيدة، **القول البسيط**

في أخبار تمنطيط، تحقيق ونشر فرج محمود فرج (مقدمة للحصول على الدكتوراه الدرجة الثالثة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1977م، ص6.

127 - فرج ، **إقليم توات**، نفسه، ص91.

128 - نفسه، ص95.

129 - سيدي عمر، نفسه، ص17.

130 - نفسه، ص25.

131 - نفسه، ص26.

132 - فرج ، نفسه، ص99.

133 - سيدي عمر، نفسه، ص28.

134 - هو السيد محمد البكري بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن أحمد بن محمد التلاني أصلا الزاوية البكرية دارًا ومنشأ، انظر : سيدي عمر، نفسه، ص47.

135 - فرج ، نفسه، ص94.

136 - سيدي عمر ، نفسه، ص51.

137 - نفسه.

138 - وردت ترجمة لواحد و عشرين معلما ،انظر: سيدي عمر ، نفسه.

139- E. De Neveu, **les Khouanes, ordres religieux chez les Musulmans de l'Algérie**, Alger 1913, p115.

140 - التلي بن الشيخ، **دور الشعر** الشعبي الجزائري في الثورة (1830 - 1954م)، الجزائر 1983 ، ص21.

141 - نفسه ، ص24.

142 - مصطفى حداد، **"انتفاضة البا يزيد من سكان واحة العامري سنة 1876م"**، الثقافة، السنة 14، عدد 81، ماي/يونيو، الجزائر 1981، ص211.